وتفجير عدد من رؤساء البلديات وإبعاد آخرين، وسيل لا يتوقف من الحملات الاعتقالية، لم تساعد على بناء قاعدة اجتماعية متساوقة مع سياسات وتمنيات الاحتلال.

و(هذا حال النشاط الأردني من صناديق ولجان وقنوات استفاد منها بعض الموظفين والمنتفعين والهيئات والعوائل التقليدية... أما القوى الصاعدة، بلغة ستالين، فكانت منحازة لفصائل المقاومة ومنظمة التحرير.

لقد شهدت الأرض المحتلة بين أوائل السبعينات وأواسط الثمانينات نشاطاً محموماً لعله يحصد قيادة فلسطينية، أو فريقاً له وزن شعبي منافساً لنفوذ منظمة التحرير، ولكن ذلك لم يجدِ نفعاً.

فما تكرس في مؤتمر القمة العربية ١٩٧٤ بأن المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد تكرس في الأرض المحتلة مع الاعتراف أن ذلك أثار سؤالاً لدينا: هل يمكن أن يفهم منه عزلة فلسطينية، وتحرير للعرب من مسؤوليتهم القومية، فاغتيال جنبلاط رئيس اللجان العربية القومية المناصرة للثورة، ومن قبل تحول الميثاق القومي لمنظمة التحرير لميثاق وطني، وإنهاء تجربة حزب العمل الاشتراكي العربي التي كانت الجبهة الشعبية عموده الفقري، وانفلات التناقض بين ميل عرفات لقرار وطني مستقل ومحاولات سوريا احتواء الورقة الفلسطينية، وكأنه لا يمكن الجمع بين الوطني والقومي، أثار تساؤلات لدى مفاصل قيادية في الداخل.. فهل نسير نحو العزلة الوطنية، حتى أن أحدنا كتب منذ بداية الثمانينات عن تشكيكه بشعار الدولة المستقلة، فليس ثمة مقومات في الضفة وغزة لإقامة دولة بقاعدة اقتصادية-مؤسساتية، كما أن هذا الشعار أو ما هو أقل منه سوف يستخدم لمقايضة حق العودة، بينما كانت غالبية الأسرى وبُنى المقاومة من اللاجئين، ناهيكم عن أن حق العودة هو الجوهر والأساس وهو مدخلنا للتحرير دون أن ننسى أن جهدنا المركزي كان يتوجه لبناء أدوات المقاومة وليس للجدل السياسي)[٢٩٧].

وكان لتنامي العامل الديمغرافي وظهور الصحف والمجلات وتحول كلية بيرزيت إلى جامعة وولادة جامعات أخرى، وكانت الجامعات مركزاً متقدماً لفصائل المقاومة، أسوة بالمخيمات، ناهيكم عن تنامي القاعدة العمالية والفئات الوسطى، وظهور بعض مؤسسات المجتمع المدني التي تدور في فلك فصائل المقاومة وليس التمويل الأجنبي، والمدن التي اتسعت رقعتها وأعداد سكانها،

---

٢٩٧ ) قيادي في الجبهة الشعبية